21/12/2012 **الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال**

صفة الصفوة

أبي سعيد الخَرَّاز

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يا أكرم الأكرمين، وبعد:

نحن نقرأ في كتاب **صفة الصفوة** لابن الجوزي والكتاب يتحدث في سير أولياء هذه الأمة.

وهدف القراءة في هذا الكتاب أن يعلق قلبك بواحد منهم فتعمل عمله فتلحق برتبته.

الحديث عن **أبي سعيد الخَرَّاز** واسمه أحمد بن عيسى.

الخَرَّاز لقب منسوب إلى عمله، فكان يعمل بالخرز.

ذلك يعني أن الولي ليس من الضروري أن يكون إمام مسجد، أو خطيباً أو مؤذناً أو خادماً أو أستاذاً بكلية الشريعة... بل يمكن أن يكون بائع خرز ويكون من الأولياء.

فكل واحد بيننا بالمكان الذي يتواجد به ممكن أن يكون ولياً لله تعالى، لكن على أساس أن ينضبط بأمور ثلاثة وهي:

1- ترك الحرام.
2- إتقان الفرائض.
3- أداء ما استطعت من النوافل.

وبعد ذلك ما أردت أن تعمل من أعمال الحلال فاعمل.

قد تكون صانعاً، تاجراً، أجيراً، موظفاً، محامياً، طبيباً، مهندساً، لغوياً... فالمهم أن تطبق هذه الثلاثة.

الإمام الجنيد سيد الطائفتين كان يقول: (لو طالبنا الله بحقيقة ما عليه أبو سعيد الخراز لهلكنا، قال علي: فقلت لإبراهيم: وأي شيء كان حاله؟ قال: أقام كذا وكذا سنة يخرز ما فاته الحق بين الخرزتين).

أي يعمل ذكراً أو تسبيحاً أو حمداً أو قضاء لحاجات الناس.

فمع عظمة الإمام الجنيد قال: لو قال لنا الله لماذا لم تعملوا مثله فسنهلك كلنا.

فالأمر ليس باسم عائلتي ولا باسم عائلتك، ولا بعملي ولا بعملك، بل الأمر بالانضباط بالشرع.

كل الناس تغيب وتحضر عن الله عز وجل، لكن المراد أنه كان كثير الذكر لله تعالى.

نحن أحياناً نكون سائرين في الطريق فنجد رجلاً يسير في الطريق وهو يتمتم شيئاً وخاصة آباءنا وأمهاتنا بينما يكون الابن يغني أغنية، فهناك فرق كبير.

المهم أنه من المفيد لأحدنا أن يداوم على الذكر.

والذكر يكون في اللسان وهو نوع، ويكون في القلب، لكن هذا القلب حتى ينشغل في الذكر يحتاج إلى تدريب لأن هذا القلب مثل المحرك فأنت تحتاج أن تديره عدة مرات حتى يقلع، وكذلك الذكر فأنت تحتاج أن تلازم عدة سنوات على جلسات الذكر من الذكر الجهري والسري حتى تصل لمرحلة أنك إذا تركته ترى قلبك يقلع بمفرده، أما لو كان الإنسان مخالطاً للناس وأخذ وعطاء وخصومات، فالقلب ينشغل.

فهذا أبو سعيد الخراز ما فاته الذكر من عدة سنوات أي شغل به.

قد يقول بعضهم هذا أمر صعب فَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، **أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَذْكُرُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ**، [ابن ماجه وابن حبان].

كيف تستطيع أن تكون دائم الذكر؟

1. أول ما عليك فعله هو البدء بالذكر الإرادي، فاعمل لنفسك أذكار الاستيقاظ وأذكار صلاة الفجر، وذكر لبس الثوب الجديد، وذكر الجلوس للطعام، وذكر نهاية الطعام، وذكر رؤية الهلال، ذكر زيارة المريض... فمجموع الأذكار مع التكرار ترسخ في قلبك فيصبح قلبك يذكر الله عز وجل.
2. اجعل لك كل يوم ربع ساعة ذكر صباحاً ومساءً.

قال العلماء: (**من أدمن قرع الباب وَلَجَّ وَلَجَ**).

أنت تنادي على الله يا الله.. يالله.. يا الله.. ومن كثرة المناداة يفتح لك الفَتَّاح الباب، لكن عليك أن تبقى واقفاً على الباب تقرعه بالذكر.

كان شيخنا عليه رحمة الله في كل مجلس يقول: يا ولدي أكثروا من ذكر الله.

وأنا أقول لكم كما يقول شيخي: يا إخواننا أكثروا من ذكر الله، فهو يعينكم في كل مفردات حياتكم.

مسكين شاب ليس له مجلس ذكر، مسكين شاب لم يذق طعم الذكر.

قال أحدهم يوماً لتلامذته: مساكين أهل الدنيا، خرجوا منها ولم يذوقوا أحلى ما فيها.

فقيل له: وما أحلى ما فيها؟ فقال: معرفة الله، والتلذذ بذكره.

والله جلسة ذكر مع الله يتصل بها قلبك تساوي الدنيا وما عليها من شهادات ومناصب ومال.

حسبك أنك جليس الملك، قال الله تعالى في الحديث القدسي: ((أَنَا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَنِي))، [الديلمي].

عَدَّ ابن القيم الجوزية للذكر مائة فائدة أعلاها: أن الله يذكرك ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾. [البقرة: 152].

فمن لم يذكر الله ويتحجج بالمشاغل، والهموم، والالتزامات، هو مسكين فهو يرضى أن يتصل بالمخلوقين، وإذا رن هاتفه الجوال ترك الطعام وررد عليه وأحياناً يكون الاتصال ليس ضرورياً، والله يناديك يقول لك: أريد الجلوس معك وتقول لست متفرغاً!

يقول أبو سعيد الخراز: (**من ظن أنه ببذل الجهد يصل فمتمنٍ، ومن ظن أنه بغير بذل الجهد يصل فمتعنن أي من العناء**).

أي من ظن أن أعماله هي التي ستوصله فهذا يتمن الأماني، فلو أن الله أراد محاسبتك وأتى بجميع أعمالك ووضع مقابلها نعمة من النعم لكنت مديوناً، ولن تصل إلا برحمة الله عز وجل والافتقار إليه، ولكن بالمقابل ينبهنا أن علينا بذل الأعمال وعدم تركها.

من الأدب مع الله أن تنضبط بما أمر فإن الله أمرك ببذل الأسباب، أي أيدينا مشغولة بالأسباب وقلوبنا مشغولة بمسبب الأسباب، وهو رب العالمين فبهذا الأمر تصل.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**لَوْ يُؤَاخِذُنِي اللَّهُ، وَابْنَ مَرْيَمَ، بِمَا جَنَتْ هَاتَانِ (يَعْنِي الإِبْهَامَ وَالَّتِي تَلِيهَا)، لَعَذَّبَنَا ثُمَّ لَمْ يَظْلِمْنَا شَيْئًا**)).

[ابن حبان وهو صحيح على شرط الإمام مسلم].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: ((**لَنْ يُنْجِيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ**))، **قَالَ رَجُلٌ: وَلَا إِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟! قَالَ:** ((**وَلَا إِيَّايَ إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ وَلَكِنْ سَدِّدُوا**))، [مسلم].

كيف يكون السيف في الغمد يلبسه تماماً، فهكذا يجب أن يلبسني الله برحمته حتى أدخل الجنة، فمطلوب منا أن نترك الحرام، وأن نتقن الفرائض، ونؤدي ما استطعنا من النوافل، ثم تقول: يا رب تلتجئ إليه فإذا بك واصل إليه.

نسأل الله عز وجل أن يجعلنا من خيرة خلقه لديه، وأن يجعلنا دائمي الذكر منضبطين بشرعه.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين.